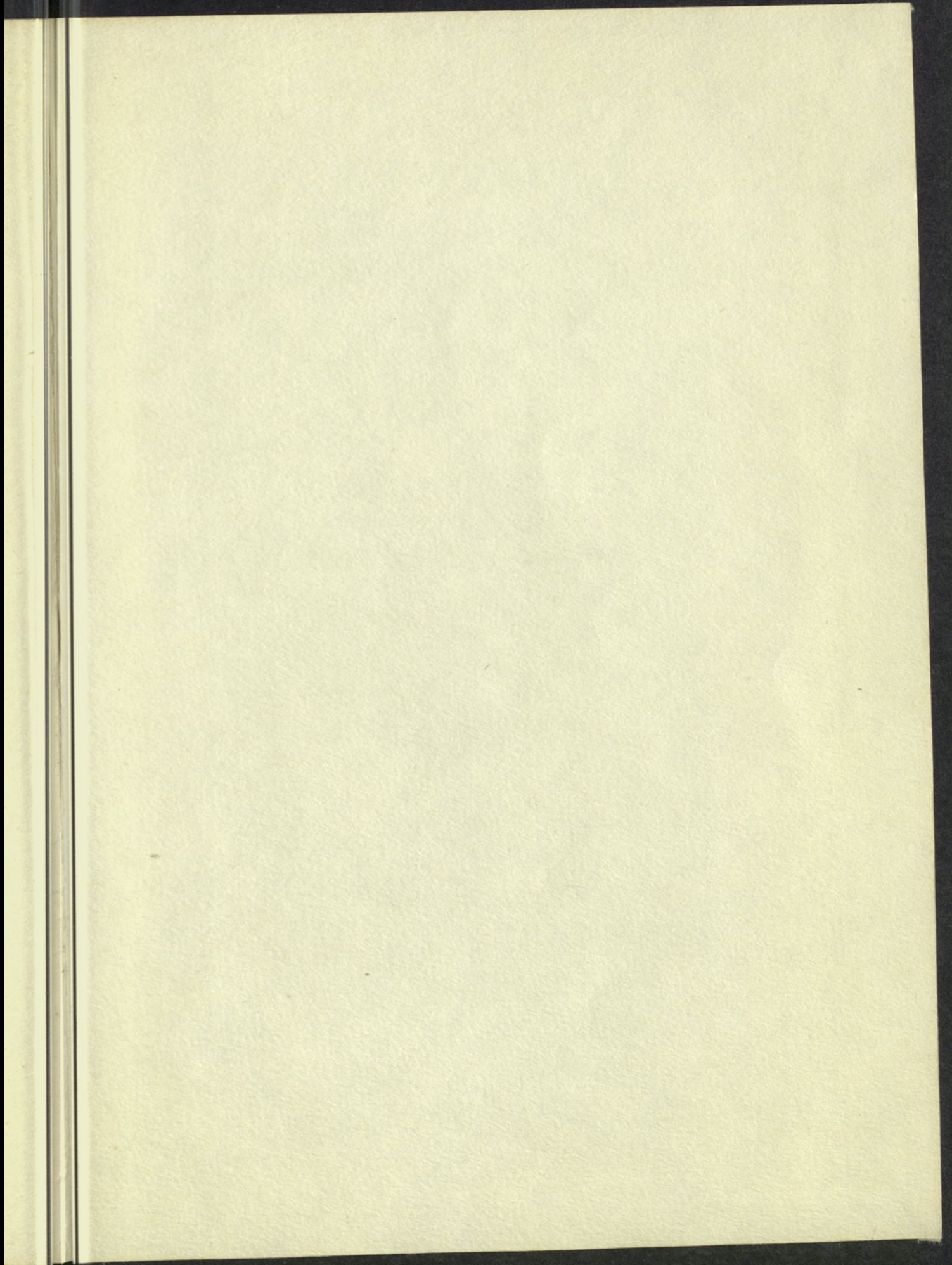


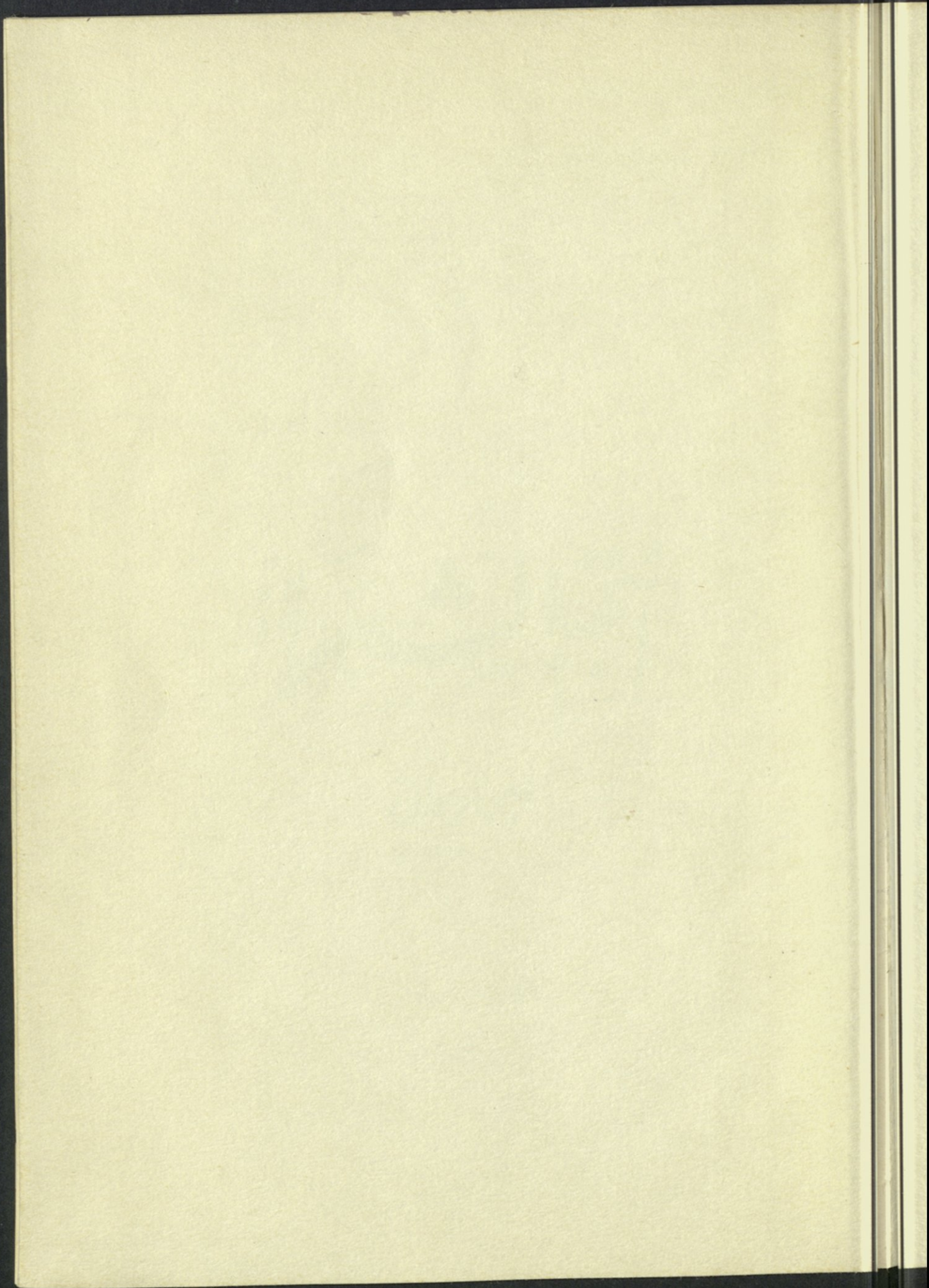
AMERICAN UNIVERSITY
LIBRARY
OF BEIRUT

N. MAKHOUL
BINDERY

22 JUL 1972

Tel. 268458





Gift. Fred Dodge.

Oct. 9th 1935

٢٠

892.78808-1

R572anA6aA

C.2

انتم الشعراء

امين الريحاني

48541

Gift. Pres. Dodge.

Cal. Univ. 1935

مطبعة الكشاف بيروت

حقوق الطبع والنشر محفوظة
للكتبة الكشاف : شارع المرزوق : بيروت

فهرس

صفحة

قلوب تذبذب ٤

داء البكاء ٦

عشر وصايا للشعراء ٩

ربة الشعر ١٠

الشاعر والوطن ٢٠

الشاعر والفيلسوف ٢٨

الالم الشخصي والقومي ٣٧

الدموع ٥٢

دموع الشاعر ٦٢

ندب وانتداب ٧٥

خمسة عشرة وصية اخرى للشعراء ٨٩

قلوب نذوب

« في هذه البلاد الشرقية كثير من القلوب
الليينة المترهلة ، بل القلوب المائعة الذائبة . قلوب
تذوب كلما ناح الحمام ، قلوب تميع كلما اهتز الورد في
الأكمام ، قلوب تسيل هياماً كلما تلاًت شمس
الاحلام — قلوب مائعة ذائبة على الدوام .

قلوب تذوب كلما هبت ريح الصبا ،
تذوب في الليالي المقمرة ، وعند كل ساقية او غدير .
تذوب في رابعة النهار لرنة عود او لأنة من أذان
«يا ليل» . قلوب تذوب في ظلال الصفصاف ، وتذوب
امام الفونوغراف — قلوب شرقية مائعة على الدوام .

ونحن في زمن الحديد والكهرباء ا
ان حاملي هذه القلوب لا عجز في المحن

والنكبات من فراخ القطا ، ولأجن من صغار
الارانب . وما اسرعنا ، وهذه قلوبنا ، الى
الشكوى والالين ، الى التلهف والتأوه والنواح .
ما اسرعنا ، وما اشد صراخنا ، في ميدان الندب
والنجيب . كأننا في مندبٍ دائم ، وكأن الندب
مشتق من الانتداب . »

من خطبة للمؤلف

في مدرسة البنات الاهلية ببيروت

داء الباطن

«... اننا ، والحق يقال ، اكثر بقاء ،
واشد انتحاباً ، من جميع الشعوب . كاننا جبلنا
من الدموع والاسى ، كأننا كُوْنَا من انفاس
النوادر ، وجهشات الشكالى ... انه لمرض يفوق
انتشاراً كل امراضنا ، وهو اشدّها خطراً على
سلامة الامة وعافيتها . بل هو الوباء الاخبت ،
لانه يفعل بالعقول والقلوب ما لا تفعله احكام
الظلم وشرائع الاستبداد . فتراه يفتك بالسياسيين
ورؤساء الدين ، كما يفتك بالادباء والتجار والفلاحين .
هو وباء الدموع ، وباء النجيب والنواح . فاذا
بكى شاعرنا في قوافيه بكينا معه . واذا ان ادبنا

في نثره كنا كلنا صدىً لأنينه . واذا ترّوع
فيلسوفنا من هول الزمان المادي ، وانكسر في
جهاده روح الزمان ، كنا كلنا متروعين
مكسورين ...

وانك لتري الشبان اغزردموعاً من الرجال ،
والرجال اشد التباعاً من النساء ، والنساء اسبق الى
التلف والتأوه من الشعراء المتيمين . آه ، اوّاه ،
والهفتاه !

وما السبب ياترى في هذا التلاشي المعنوي
الروحي ؟ ما الذي يحل بقلوبنا ؟ ما هي ضربتها ؟
قلب شاعر مكسور ؟ ان قلوب الشعراء من زجاج .
واكثرهم يتمونون منها ما يكفي الحياة الشعرية في
كل ادوارها . فاذا انكسر قلب من هذه القلوب ،

فصرخ صاحبه وصاح ، وأنّ وناح ، وأرسل نواحه
وأيننه في قوافيه ، أيجب علينا ان نصيح وننوح
مثله ؟

كفكفوا دموعكم . ارفعوا قلوبكم من
مستنقعات التخث ، واعتقوها من العواطف
الصبيانية - السرايية . ولا تستسلموا الى كل
فاحب نواح مهما طاب نواحه ونحيبه .

من خطبة للمؤلف

في الجامعة الوطنية بعاليه .

عشر وصايا للشعراء

- ١ - انا القاموس الهك ، لا اله لك غيري .
- ٢ - أكرم سيبويه ونفطويه والكسائي
واخوانهم اجمعين .
- ٣ - لا تحلف باسم ليلى بالباطل .
- ٤ - لا تمدح بالزور .
- ٥ - لا تكذب على دعد وهند وشقيقاتهما .
- ٦ - لا تبك .
- ٧ - لا تقتل .
- ٨ - لا تسرق .
- ٩ - لا تشته قصيدة اخيك او نياشينه .
- ١٠ - وفر من غرش يومك لتطبع ديوانك ،
وتنشره ، وتعلنه ، وتجزئ المقرظين .

ربة الشعر

ربة الشعر ، عونك وهداك .
ربة الشعر ، قبساً من ضياك .
اني اخشى على ابنائك الراسفين بقيود
تنكرين . واخشى على حاملي لوائك الغاوين ، من
عبادة تزدرين . بل اخشى عليك من سخافات
النظامين ، وترهات الغاوين ، وبلادات المولمين .
اخشى عليك من أيدٍ تحمل المناديل ، ومن
دموع هي الزنجبيل . وانت الظافرة بالاكاليل .
انت الجالسة سعيدة على عرش الخلود ،
وانت المحجة وانت السبيل .

ربة الشعر ، الهميني الصواب ، وسددي
خطواتي الصعاب ، ولا تجهمني يوم الحساب .
أسمعيني من اصواتك التي تسحر الانس ،
وتسكر الجن ، وتملأ الكون غناءً وابتهاجاً . فاني
اذكر أن في رسومك وتماثيلك رمزاً للغناء .
يمثلك العارفون حاملة القيثارة تنشدن ،
ولا يمثلونك حاملة المنديل تبكين .
وان لقيثارتك اوتاراً لكل عواطف
الحياة ، ولكل لهجات المنشدين .
ولكن ابناؤك في هذا الشرق العربي فقدوا
سُلم العواطف ، فقلما يذكرون غير واحدة ، هي
عاطفة الحزن والالم .
وفقدوا سُلم اللهجات ، فقلما يذكرون غير
واحدة ، هي لهجة البكاء والنحيب .
وانت حاملة القيثارة المتعددة الاوتار ،

تلك القيثارة التي رددت آيات وحياها ، وذهب
هوغو حواشي سحرها ، وكان هوميروس ابنها
الاول الأبر ، وكان شكسبير رسولها الأكبر .

ربة الشعر ...

قطع صوت علي الكلام ، فسمعتة يقول :
ولكنهم في شرقك العربي مسخوا اسمي
وشخصي ؛ فأسموني شيطانا . وحملوني دنا فارغاً
طيب الرائحة ، ومصباحاً دخانه أكثر من نوره .
وقالوا للشعراء : اتبعوا شيطانكم . فتبعوه الى
دور الامراء ، والى المقابر — مديح ورتاء ، رثاء
ومديح ، وتبعوه الى حانات فيها دعارة ، وليس
فيها للشعر منارة . وتبعوه الى ساحات الوغى
يجاربون دواليب الهواء . والى طلوع خاوية ، في
ظلال شاوية . والى غدر المحال تحت سدر الخيال .
وتبعوه الى بحيرات من نور القمر ، تسبح فيها

عراس الاحزان ؛ وترقص حولها بنات الجان . وفي
من تبعوه من شعراء العرب ، وادر كوا ، بهذي
العبقرية لا بهداه ، حواشي الظل لعرشي الاعلى ،
قليلون عرفتهم ، وفي مقدمتهم المتنبي والمعري
والفارض والبهاء زهير .

فقلت : ربة الشعر ، اعدلي فينا . ربة الشعر
انصفينا .

فقلت : اسمع وع . ان عندكم لكل وتر
من اوتار الوحي شاعراً يفوق جميع الشعراء .
عندكم المتنبي في فخامة القول والحماسة ، والمعري
في حرية الفكر والحكمة ، والفارض في العشق
السري الصوفي ؛ والبهاء زهير في العشق الساذج
الطبيعي ، وابو نواس في المجون والتهكم ، وابو
العتاهية في الورع والتقوى ، والشريف الرضي في
شريف الغزل والنسيب ، والمجنون في الوله والحزن

والنجيب . اما الافرنج فانك لتجد كل هؤلاء في
شاعر واحد كبير من شعرائهم ، في غوته مثلاً ، او
في الشاعر الاوحد شكسبير .

فقلت : وشعراء اليوم ، شعراء الوجدان ؛
اولئك الذين يتعلمون في المدارس اسمك القديم ؛
واسم جبل وحيك ، ويرون في الكتب رسمك
تحميلين القيثارة ، وهم يحسنون العد ، فيعدون
اوتارها كما يعدون اوزانهم ، ولا يسمعون مع ذلك
غير واحد او اثنين منها . فما داؤهم ، دام جلالك ،
وما السبب في بلائهم ؟ هل السبب في السمع
والبصر ، ام هل هو في التربية الشعرية القياسية ؟
فقلت : ان داؤهم الانانية ، وان بلائهم
في نصف بصيرتهم ، ونصف سمعهم . اجل ، ان
اكثرهم لذو عين واحدة ، واذن واحدة . وانهم ،
اذا ما نظروا الي ، لا يرون غير نصفني الادنى .

ومنهم من لا يرى غير جزء منه ، واذا هم أنصتوا
لي ، فلا يسمعون غير صدى كلماتي العالية . فخير
لهم ، وهذه حالهم ، ان ينجوا شياطينهم ، من ان
يطوفوا حول معبدي ، ويرددون القوافي القديمة
المصدئة في المديح والرثاء ، وبعد ذلك يتأوهون
وينتحبون .

— ربة الشعر ، حلمك . ربة الشعر ، التساهل منك .
— ويحك أتسألني التساهل ؟ وهل تريد ان
لا ابالي ؟ معاذ الله ان انكر ابنائي ، وان كان فيهم
من عجائب المخلوقات ، ذوي النصف البصيرة ،
والاذن الواحدة . معاذ الله ان انكر عبّادي وان
كانوا من اهل الندب والنحيب . ولكني اخشى
مثلك على عرشي من دموعهم واخشى على قيثارتي
من انانيتهم . هم ابنائي ، ورب الكائنات . ولكني
وانا أهم ، وان ضلوا السبيل الي ، وربة وحيهم ،

وان جهلوا في اكثر الاحايين مصادره القدسية -
اخشى ان اركب خيالهم ، فاحسب نفسي ، كما
يحسبون انفسهم ، محور الكون ، وركنه
الاعظم... .

فقلت : ومن اين يجيئهم هذا الخيال ان لم
يكن من وحيك الاسمى ؟

فقلت : هو من وحي الشيطان ، لا من
وحيي . معاذ الله ان يكون في وحيي شيء من
الوهم والضلال . معاذ الله ان اضلل اولادي ،
فاوردتهم التهلكة ، واحرمهم الخلود . هذا بالرغم عما
اقاسي منهم ومن قوافيهم . صدقني ، يا بني ؛ ان
ابنائني الصينيين واخوانهم الجاويين هم اليوم اقرب
الى قلبي ، والى فهمي ، من اخوانك الناطقين بالضاد
المتكبرين المفاخرين ، المردين اصوات الاولين ،
الطامعين بالامارات والنياشين .

فقلت : وهل كلهم سواء ؟

فقلت : لا ، يا بني . ولكن كلهم مزعج .
كلهم يزعجون امهم ، وينغيظونها . وماذا يبتغون
مني ؟ اسمع وع . يصيح الواحد منهم في نظمه
قائلاً : افتحي لي ابواب وحيك . وهو يظن ان
ابواب الوحي ، المفتوحة لابنائني في العالم اجمع على
الدوام ، انما هي في كتب القريض والدواوين .
فيهرول اليها ، فيفتحها فرحاً ، ويكد القرية
طالباً جامعاً حافظاً . وهو يعتقد اني دليله
وهدهاه ، احمل له مصباح الوحي في سرايب الازان
والقوافي . وفي مثل هذا يتنافس واخوانه . وعندما
يغلق عليهم ، يلجأون الى القاموس . فافر
منهم هاربة ، فينادوني ثم ينادوني ، وبالذواوين
يرموني ليرشوني ، وهم دائماً يفاخرون ، بلا خجل ،
ويكابرون . وبعد ذلك يجشون ويكون .

فقلت : شأن الاطفال وامهم الحنون .
فقلت : اخطأت يا بني . لست بالام الحنون ،
وليس الحب مزيتي الكبرى . لا ، ورب الكائنات .
انا أم ؛ ولا كالامهات . فمن له بصيرتان من ابنائي ،
بصيرة مادية ؛ وبصيرة روحية ؛ ادخله قلبي . ومن
له بصيرة واحدة ادخله معبدي . ومن ليس لهم غير
نصف بصيرة اتركهم في ذرا المعبد يلعبون .

— ربة الشعر ، رحماك .

— استرحم رب العالمين .

— وهل في الوجود كله ابلغ منك رسولا

وأبرّ منك وسيطاً لديه تعالى .

— نعم ؛ هناك العالم .

ولكن العالم لا قلب له ، او ان قلبه يابس .

وان علمه فوق ذلك ؛ لا يدوم على حال . اما انت

فأنك في وحيك دائمة خالدة ؛ قلباً وروحاً وعقلاً .

- وكذلك هو الفيلسوف .

- ولكن فينا من يرفعك حتى على الفلاسفة .

وقد علمتنا ربة التاريخ ان للفلسفة حدوداً ؛ وان

اتسعت من زمن الى زمن . وان الفلاسفة هم غالباً

مثل العلماء ذوو بصيرة واحدة ، وقلوبهم يابسة . اما

الشاعر « ذوالبصيرتين » ؛ ذلك الذي « تدخلينه

قلبك » ؛ فهو اقرب المقربين اليه تعالى . بل هو في

مقدمة الخالدين . وان في ذلك فخرك وفخر العالمين .

قلت هذا ، وبادرت الى ثوبها اقبل رذنه ؛

فمالت بوجهها الى المشرق ؛ وهي تبتمس ابتسامه

الرضي . ثم مدت يدها الى القمر الطالع من وراء

ربوة عند قدميها ؛ فازداد نوره ضياءً ؛ فسربلها ؛

وخفاها عن ناظري .

الشاعر والوطن

ما خطر في بالي، يوم القيت خطبتي في الجامعة
الوطنية بعاليه، تلك الخطبة التي حملت فيها على
الادب الباكي، ان سيوقفني بعدئذ في الطريق
العامة - طريق الصحف - رهطاً بل عصابة من
الادباء، ولسان حالهم يقول : رأسك، او كلمة
اخرى منك في الموضوع .

ومنهم من لم يكتفوا بالتهديد، فضربوا -
ضربات صاردة، واخرى صائبة - وهم يندرون
بالمزيد .

قالوا اني ابنت على الناس ان يتألموا، واني
انكرت وجود الالم في العالم، واني كفرت بالدموع،

وجدفت على المقدس منها ، اي دموع الشعراء .
وقالوا ان عنتره والمتنبي ، وغيرهما من
ابطال المشرفية والقوافي ، بكوا في شعرهم ، ولم
اتعرض لدموعهم . واني البست شاعر « الشباب
المفقود » اكليلاً من الشوك بدل اكليل من الغار .
ومنهم من قال اني اكبرت الشعر وغاليت
في تقديره ، فلا الباكي منه ولا الحماسي يؤثر كثيراً
في نهضات الشعوب .

ومنهم من اباح انتقاد الشعر وصناعته وحرّم
علينا انتقاد روح الشاعر ، وان كانت من الارواح
المزئقة .

وجاؤوا فوق ذلك بزين الكلام ، فقالوا اني
مشعوذ ومراوغ ، و... غفر الله ذنوبنا جميعاً .
فما اجمل ما قاله الشاعر الحلبي ميخائيل
صقال :

« نهوى السلام ، نصافي الناس ، نكرمهم
ولا نعادي ، ولا نهجو المعاديننا »
ومن الادباء الذين خاضوا هذه المعركة ،
وقد جرت فيها بدل الدماء الدموع ، وكاد الادب
والشعر يغرقان في بحرهما ، وهما يحاولان انقاذ
الوطن — من اولئك الادباء من كانت جولايتهم ابعد
من جولاتي ، وطعناتهم اشد من طعناتي ، فلمعت
الخناجر ، وابرقت السكاكين ، فخفت على شعراء
البلاد ، واسفت لما اسلفت من عتاد ، ووددت
قتالا مسرحياً ، يضحك اذا ما ابكى ، ويبكي في
بعض ما يضحك ، فيعود المتبارزون ، بين الفصول
الى اخاء في المهنة والوطنية ، فيستأنس الناس
ويستفيدون في الآن الواحد .

ولكن اخواني المجاهدين؛ المبددين لجحافل البكاء
والنحيب؛ اسلفوني من الفضل ما لا يصح عنده
العمل بقاعدتي المأثورة: قل كلمتك وامش. فقد
اهتز في كلا الحالين عقل الامة المفكر؛ فتحررت
نزعات للثقافة راكدة؛ واستيقظت للشعر ارواح
مجددة؛ فجاء في ما كتبه الفريقان من الادب الحي
ما يجمدان عليه كل الحمد؛ لولا نغرات شخصية
تشينه؛ واهواء نفسية تضعف الحجة فيه. وجاء
خصوصاً في كلمات من حملوا على الادب الباكي
البرهان الحي المسر على روح التجدد في الشباب
وفي نزعاتهم الادبية والاجتماعية والوطنية.

على ان الشخصيات تضمحل امام الغرض
الاكبر من الموضوع. فلا انا ممدوحاً؛ ولا انا
مذموماً؛ اقدم او اؤخر في تحقيق ذلك الغرض.

ولا الذين توهموا انفسهم خصوماً لي ، ممدوحين
كانوا او مذمومين ، ممن شاركوا في المناظرة ،
يقدمون او يؤخرون في تمحيص الحقائق ، وادراك
الحجة .

ومن غريب ما ظهر في هذه المناظرة تبين
العقليات ، ليس فقط في القوة والصحة ، بل في
الشكل والنوع كذلك . فان كان في تأييد فكرة
المؤلف او في تسفيهاها ، وان كان في الدفاع عن
الفياسوف والوطن ، او عن الشاعر وحقه
في البكاء ، فالعقلية لم تستر او تتقنع ، بل كانت
جلية صريحة لا مجال للريب فيها .

وهذا ما لا تجده الا في الامم المتقسمة
المتخاذلة مثل الامة العربية . فلو كانت هذه المناظرة
في المانية مثلاً او في فرنسه ، لما كنت تجد في
اختلاف المتناظرين أثراً لعقلية غير المانية ، او غير

فرنسية .

اما عندنا فقد تلمست ، وانا اطالع ما كتب ،
شقي العقلیات ، بل تعثرت بها . فهناك العقلية
الفرنسية وما تجندت به من ادب هو محض فرنسي .
وهناك الانكليزية وما ظهر فيها من الثقافة
الانكلوسكسونية . وهناك عقلية محض عملية —
اميريكية مادية — لا ترى في الشعر كبير خير
للامم ، لا في الباكي منه ولا الحماسي . وهناك
العقلية اللبنانية التي ابت ان تجرد موضوعاً ادبياً
اجتماعياً من النعرة السياسية . وكذلك العقلية
السورية ، والعقلية العربية ، وهي ابرز ما استعرض
في هذه المناظرة .

لذلك لم ينحصر البحث في الموضوع ، بل
تجاوزه الى ما اوحى تلك العقلیات ، كل الى صاحبها
فجاءت والنزعات تخفي الحقائق في بعض الاحايين

او تشوهها .

اما اذا جردنا تلك المقالات من التشيع الادي
الشخصي ، والتشيع السياسي ؛ ونظرنا الى ثمرات
الفكر الصحيح الصافي ، والى نزعات النفس النزيهة
فيتبين ان هناك مزيجاً من الآراء الصائبة والمخطئة
ومن النظرات الثاقبة والسطحية ، يستوجب
التصفية ، او التسفية — كيفما مثلته لنفسك . بل
هناك من الحقائق المختلطة بشبه الحقائق ، وبالاغلاط
ما يستوجب التمهيط والايضاح .

انه لعمل شاق . واني ، اكراماً لك ايها
القاري ، العزيز ، لمنجزه ان شاء الله . فقد طالعت من
اجل ذلك كل ما وصلني ، واظنه القسم الاكبر ،
مما كتب في الموضوع . وجمت الآن اقوم بالواجب
واجب التمهيط ، فاثبت الحقائق واضحة جلية ،
واشير الى ما هو خطأ او وهم بحسب اعتقادي .

ثم اضيف الى ما سبق مني ما يعيد الى ذهنك،
وذهن الامة، ما كاد يضيع في البحث والمناظرة
من لب الموضوع، ومن الغرض الوطني الاجتماعي
الاكبر في معالجته، وعلى الاخص في هذه الايام
العصيبة؛ ايام الجهاد الوطني، والنشأة القومية.

الشاعر والفيلسوف

قيل ان الشاعر والفيلسوف لا يتفقان .
قال فيلسوف يزعم ان الشاعر يجب الى الناس الخلاعة
ويغريهم بها ؛ والشاعر يظن ان الفيلسوف يبعدهم
من الادراك الاسمي لحقائق الحياة .

وقيل ان هذا الخلاف بينهما قديم جداً ،
اقدم من افلاطون وهو ميروس . فلا الفيلسوف
يحترم الشاعر ، منذ ذاك الزمن حتى اليوم ، ولا
الشاعر يحترم الفيلسوف .

ان في هذا القول اشياء من الخطأ والصواب .
فاذا نظرنا في المسئلة نظرة سطحية ، وجدنا ان بين
الشعراء النفسيين ، اي الشخصيين ، وبين العلماء

والفلاسفة الماديين من تصح فيهم الكلمة انهم لا
يتفقون . ولكن الكثيرين من هؤلاء العلماء
والفلاسفة لا يحسنون تقدير الشعر لان لا ذوق لهم
فيه . وقد قال احدهم ان الشعر هو نتيجة تضخم
في الطحال ، وافرازات له غير اعتيادية .

اما الشاعر الشخصي الاناني ، ذاك الذي لا
يتعدى شعره نفسه ؛ وما يرى وينجز من خلالها مما
يتعلق بنفسه ، فهو يظن ان روحه التبر الخالص ؛
يذيه وينثره على جناح الخيال ، وان الفيلسوف
لا يستطيع ان يرى شيئاً منه ، لان ليس له غير عقل
علمي ، قياسه الاوحد رياضي حسابي . فهو لا يرى غير
ما يرى بالحس ، ولا يدرك غير ما يدرك بالقياس .
هذا الفيلسوف وذاك الشاعر لا يتفقان .

اما اذا امعنا النظر في المسئلة ، فيتبين ان
بين الشعر الكوني الروحي وبين الفلسفة التي تقرن

المادة بالروح صلة متينة ، ونسباً قديماً امت الى
افلاطون وهو ميروس ومن تقدمها. والحق يقال ان
في فلسفة افلاطون شعراً صافياً ، وفي شعر
هو ميروس فلسفة سامية .^(١)

وانك لتجد الفلسفة ، بعيدة الغور والمرمى
في شعر غوته الالماني Goethe وفي شعر وضورث
Wordsworth الانكليزي ، ناهيك بشكسبير
Shakespeare وما احاط به في شعره ورواياته من
طبقات النفس والفكر ، ومن آفاق الخيال والتصوير ،
ومن جوامع الادب والفلسفة .

وما قولك ؛ ايها القاريء الاديب ، بابي
العلاء ، شاعر الفلاسفة ؛ وفيلسوف الشعراء ؟ وما

(١) راجع مواقف نسطور في الاياذة والصفحات الاولى من
الكتاب الثالث والكتاب السادس من « جمهورية افلاطون »

قولك بالفارض ، شاعر التصوف والفلسفة الالهية؟
وهل اذ كرك كذلك بقصيدة الفيلسوف ابن سينا
في النفس ؟

« هبطت اليك من المحل الارفع
ورقاء ذات تعزز وتمنع »
الى ان قال وقد اخترق استرة المادة :
« هجعت وقد كُشف الغطاء فابصرت

ما ليس يدرك بالعيون المجمع »
ان في بنات خيال الشعراء العبقريين وبنات
افكار الفلاسفة الكبار لفلسفة هي الشعر ، وشعراً
هو الفلسفة . وقل هو الشعر الفلسفي في اسمى
مظاهره ، وهي الفلسفة الشعرية في اجلى واجمل
معانيها .

واعلم ، سلمك الله ، ان الحقيقة العلمية
المجردة هي ناقصة نقص الحقيقة المنحصرة بالشعور . اما

الحقيقة الكبرى - الحقيقة السابعة الشاملة الدائمة
الثابتة - انما هي التي تجمع بين الحقيقتين ، بين ما
يدركه الشاعر بجسه الدقيق ، وما يدركه
الفيلسوف بعقله المحيط . هي حقيقة غوته في
« فوست » « Faust » ، هي حقيقة شكسبير في
« هملت » « Hamlet » هي حقيقة وضورث في
« الاكسكursion » « The Excursion » هي حقيقة
برغسن « Henri Bergson » في كتابه « L'Evolution
Créatrice » هي حقيقة المعري في « اللزوميات » . هي حقيقة
الغزالي في « احياء العلوم » . هي حقيقة ابن طفيل
في « حي بن يقظان » . هالك القليل من الكثير في
هذا الباب .

قال الفيلسوف للشاعر : اني اعلم ما تراه .
وقال الشاعر للفيلسوف : اني ارى ما تعلمه . مثل
هذا الشاعر وهذا الفيلسوف لا يختلفان . وكثيراً

ما يكمل الواحد منهما عمل الآخر ، فيدرك
الفيلسوف بالعلم والاستقراء ما يفتح للشاعر ابواباً
للوحي جديدة ويدرك الشاعر بالحس والتصور ما
ينبه الفيلسوف لجادة في البحث مجهولة ، ويوسع
لديه نطاق الفكر والاكتشاف .

دع الشعر والفلسفة ، وانظر معي ، تكملة
للبحث ؛ في حياة الشاعر والفيلسوف العملية ،
وفي ما يتوجب عليهما كبناء وطن واحد ، بل
كأخوين مفكرين ، منزهين عن الاغراض
الشخصية ، والمآرب النفسية كلها . فهل تظنهما ،
وهذه صفة كليهما ، يختلفان في الحقائق الاساسية
للحياة ، سياسية كانت او اجتماعية ؟

خذ هذه الحقيقة الكبرى في حياتنا
الانتدابية : المنتدبون متمدنون ، والمنتدبون
مسيحيون ، والمنتدبون مقتدرون ، اي انهم

اصحاب جنود واساطيل. فالمتمدن يجب ان يكون عادلاً، والمسيحي يجب ان يكون وديعاً، والمقتدر يجب ان يكون صريحاً صادقاً.

فهل المنتدبون علينا وعلى اخواننا في الاقطار العربية الاخرى عادلون، وديعون، صريحون، صادقون؟

وهل تظن ان الشاعر والفيلسوف يختلفان في الجواب على هذا السؤال؟

خذ الثانية الكبرى من حقائق هذه الانتدابات. المنتدبون مسيحيون، وهم يضربوننا كل يوم على الخد الايمن ضربات وثنية، ونحن ابناؤنا هذه البلاد، مسيحيين كنا او دروز او مسلمين، ندير لهم الخد الايسر كل يوم.

فمن هو المسيحي الصادق ياترى؟ وهل من الحكمة، او من العدل، او

من الدين بشيء، ان نضل من هذا القبيل
مسيحين ، واصحاب الانتداب لا يهمهم من
المسيحية غير « اخذ الرداء » والصفع على الخد
الايمن ؟

وهل يصلح للجهاد في سبيل الحرية والاستقلال
والعزة القومية ، من الف الصفع والسكوت
او الصفع والبكاء ، وتعلم ان يقبل اليد التي لا
يستطيع ان يكسرها .

هذا سؤال آخر لا اظن ان الشاعر
والفيلسوف يختلفان في الجواب عليه .

واذا كان الجواب واحداً ، فهلا يجب ان يكون
العمل بموجبه واحداً كذلك ؟

واذا تألم الفيلسوف لهذه الحال المحزنة المخزية ،
الكائنة بين اصحاب القوة والباطل والمسيحية
الكاذبة وبين الضعف والحق والمسيحية الصادقة ،

افلا يجب ان يتألم الشاعر ، ويتألم — وهو الرقيق
الشعور — ضعف آلام الفيلسوف ا
هو السؤال الذي يقف بنا عند النقطة
الجوهريّة الثانية من هذه المناظرة — عند الالم .

الآن لا نقول ان الألم قد يكون له جانبان ، جانب
شخصي ، وهو الذي يختص بالشاعر ، وجانب
عام ، وهو الذي يختص بالفيلسوف ، والفرق
بين الجانبين هو ان الجانب الشخصي هو الذي
يقف بنا عند النقطة الجوهريّة الثانية من
المناظرة ، في حين ان الجانب العام هو الذي
يقف بنا عند النقطة الجوهريّة الاولى من
المناظرة .

الالتم الشخصي والفومي

لا الحياة في حقيقة احوالها ، ولا الحياة في
الادب ، هي اليوم على ما كانت منذ خمسين سنة
ولم تكن واحدة في الاصل وفي الصورة ، في الواقع
وفي الكتب ، لا في الغرب ، ولا في هذا الشرق
العربي ، حتى في ذلك الزمان . فقد كان الادب ،
ومن ضمنه الشعر ، أدب تلفيق وتشويق ، ادب
صناعة وخيال ، على الاجمال ؛ وكانت الحياة ،
بالنسبة الى حاضر حالها ، سهلة سلسة بسيطة .
وفي حالها الحاضر تنعكس الآية ، او هي
تسرع في اتجاهها المفصح بالانعكاس . اجل ، قد تعقدت

الحياة ، وتعددت فيها اسباب التصنع والتزويق ،
كما تعددت فيها اسباب الراحة واليدخ . ولكن
الصعوبات في ورود مناهلها ، وفي حل مشاكلها ،
هي كذلك آخذة بالتعدد والتعقد والاشتداد . اما
الادب ، ومن ضمنه الشعر في اوروبة ، فهو يجرّد
يوماً فيوماً من الزيادات والزخرفات الصناعية
والمعنوية ، ويسير في السبل الجديدة القوية القصيرة
المنصوبة الى جوانبها اعلام المحجّتين — الحقيقة
والبساطة .

لا يجوز ان نقول اذن ان الادب ، ان كان
في الماضي او في الحاضر ، يمثل الحياة تمثيلاً صادقاً في
اصولها وفروعها . هو يردد صدى بعض اصواتها ،
ويمثل تمثيلاً حقيقياً بعض مشاهدتها ومعارضها ،
وينقل شيئاً من ظلالها والوانها . ولكنه عند الحقائق
الكبرى ، في مآسي الاسرة ، وفواجع المجتمع ،

ونكبات السياسة؛ يقف كالإله المكتوف اليدين،
المعقود اللسان، وينظر إلى يمينه فيرى أنواراً تكاد
تخنقها الظلمات، وينظر إلى يساره فيرى ظلمات
تحاول أن تبددها مشاعل متوهجة، كأنها دنت
من أواخرها في الاحتراق. والمشاعر والشاعر،
ومشعل الفيلسوف. وإذا انتقلنا من الموقف العام العالمي، وعدنا
كما ينبغي إلى الموقف الخاص الوطني، لآثر في
الصورة الصغيرة كبير تغيير أو تبديل، إن في
الوانها الأساسية، أو في ظلالها البارزة. فهي في
محملها قائمة جاهمة، إلا أن الاتجاه المركزي فيها هو
اجنبي، ييسط نفوذه على ظلالها وأنوارها، وقلما
يتأثر بما هناك من عوامل الألم والبؤس والشقاء.
فلا عجب إذا بالغ الأدباء المتناظرين في

وصف هذه الحياة حياتنا ، فقال انها حياة سوداء
ملؤها الظلم والعسف والقباحة والعار ، حياة تدمي
القلوب ، فنسيل الما اليماء . ثم صاح من اعماق قلبه
ان الالم هو الحياة ، وان الالم هو الادب ، وان
الالم هو اصل كل اصلاح في الادب وفي الحياة .
ان هذا الاديب يتألم حقاً لالم قومه ، ويريد
ان يكون الشاعر في البلاد مرآة بيئته ، وصورة
مصغرة لامته . فهل هو كذلك ؟

لا ريب عندي في ان الشاعر يتألم اكثر من سواه
ولا ريب في ان الم الشاعر هو اصلاً شخصي اناني .
وهو يظل في اكثر الشعراء النفسيين شخصياً قطب
دائره « انا » . وهذه الـ « انا » التي لا تتوقف دائماً
في امالها وتشوقاتها ، تجسم الالم في اصحابها ، فيرون
الحياة كلها جاهمة سوداء . وهم يدللون انفسهم المتألمة
كما تدلل الام طفلها ، ويذهبون في خيالهم مذاهب عجيبة

فيتوهمون ان آلام الهيئة الاجتماعية من آلامهم ،
وانها لا تروى ما زالوا هم الشعراء بائسين متألين .
واعلم ، سلمك الله ، ان من يتألمون لآلم
امتهم لا يبيعون ضمائرهم ، ويسخرون اقلامهم
وقوافيهم ، للاجانب المسيطرين ؛ وهم السبب
الاكبر في بلاء الامة وشقاؤها .
هؤلاء الشعراء يبكون وينوحون إما تقليداً
لان بدوياً في قديم الزمان بكى الاطلال والدمن -
وإما تمويهاً ، لانهم تعلموا في المدارس ان الشعر
من الشعور - فقط - وان اشد حالات الشعور
في الشعر - هي الدموع . اما المخلصون منهم فقلما
يندبون غير حظهم ، وقلما يتألمون لغير انفسهم .
وانك اذا زجرتهم ، او حاولت ان تنقذهم من
تقاليدهم فيها وأوهامهم ، يصيحون صيحة الجروح ،
ويئنون كالمقروح أنات طويلة مزعجة .

هو ذا داء الانانية بعينه . وليس للمجتمع
ولا للدهر يد فيه . انه من النفس المشغوفة بنفسها
وبالمها . انه من الغرور الذي هو عند الشعراء
الانانيين ، بعد الشهرة ، خير تعزية . بل هو سلاحهم
على الدهر الغدار الميان ، وبرهانهم الاكبر على
جور الزمان . وقد قال شاعر الفلاسفة ، وفيلسوف
الشعراء ، ابو العلاء :

«نشكو الزمان وما اتى بجنابة
ولو استطاع تكلمنا لشكنا .»

وعلى ذكر ابي العلاء اقول ان الشاعر الذي
ترفعه الالام في سأمها الى الدرجة العليا يرى الشمس
مشرقة فوق الغيوم ، ويرى الظلال الخضراء في
قلب البوادي المهلكة .

الشاعر الصغير ، ايها القاريء العزيز ، يتألم
ويبكي ، ويدخل على قلبك شيئاً من عذوبة

قوافيه ، فتطرب لصناعته ، وقلما تأسف على حاله .
والشاعر الكبير يتألم ، ويصف الالم وصفاً
يؤلمك ، ويهيج فيك الغضب والنقمة . بل يريك
من الفواجع الاجتماعية ؛ ما يضرم في صدرك نار
التمرد ، ويشعل فيه نور الرغبة بالعمل ،
بل نور العمل والاصلاح .

وهل في شعرائنا نحن العرب من كان اسوأ
حظاً ، واشد بؤساً ، وارق شعوراً من رهن المحبسين
ابي العلاء ؟ ومع ذلك ، فانك لتنسى المه الشخصي
عندما تسمع في شعره أنسة الالم القومي ، بل
الانساني .

هوذا الشاعر الكبير ، الشاعر الفيلسوف ،
الذي يتألم لالم امته . وقد كان شعره صورة صادقة
لبئثته . فقد انتقد ، بكلمات من نار ، وقواف من
نور ، ما كان في زمانه من المفاسد والمظالم الاجتماعية

والسياسية ، والدينية . وصاح بالظالمين والمرائين
صيحات مصعقات . وما فقد مع ذلك النظر الاعلى ،
ولا تعامى عن الحقيقة الكبرى ، في الجمال الشعري
الصافي ، فجاءت في بعض قصائده غاية في الرقة والخيال .
« واعمارنا ابيات شعر كأنما

اواخرها للمنشدين قوافي »

وما كان الالم ليحجر قلب المعري ، او يذهب

بشيء من سمو مبادئه . فاسمعه يقول :

« اذا ما فعلت الخير فاجعله صافياً

لربك وازجر عن مديحك ألسنا

فكونك في هذه الحياة مصيبة

يعزيك عنها ان تبر وتحسنا . »

ومن غريب الاتفاق الفكري والاجتماعي

ان فيلسوف المعرفة وشاعرها كان ناقماً مثلي على

فريق من الشعراء في زمانه ، فندد باولئك الذين

يلهون بتوافه الحياة ، ولا يستطيعون ان يخترقوا
ستاراً واحداً من استرة الحقيقة ، فيبذرون قوافيهم
بالمديح والاستجداء ، وبالتغزل البليد والرثاء .
وقد قال ، وهو يحمل على اسيادهم ، واولياء
نعمتهم ، الامراء والحكام — وكأنه في ما يقول
يصف اسياد هذا الزمان :

« ملّ المقام فكم اعاشر امة

أمرت بغير صلاحها امرأؤها

ظلموا الرعية واستجازوا كيدها

فعدوا مصالحها وهم اجراؤها

فرقاً شعرت بانها لا تقطني

خيراً وان شرارها شعراؤها . »

اريد من شعراء القرن العشرين ان يتمثلوا

في هذه الايام بشاعر القرن الحادي عشر ، شاعرنا

الاكبر المعري . واريد منهم ان يستقوا من ينبوع

حكيمته الصافي ، فلا يملأون البلاد ضجاً وقرقعة إذا
هم احسنوا مرة الى المجتمع وقصر المجتمع في نظرهم
باحسانه اليهم . وهل جاء احد الفلاسفة او الشعراء
باسمى من هذه الحكمة ، وبابسط وابلغ من الصورة
فيها ، وهى من ينبوع من كانت حياته بؤساً والمأعلى
الدوام ؟ فهو القائل :

« والغيث اهنأه الذي يهيم وليس له رعود . »

وهذا الشاعر الفيلسوف المتألم ، الذي عرف
الحياة « جاهمة سوداء قبيحة ظالمة ... » لا يعبس
دائماً ولا يتجهم . فان له في مزاجه شتى المزايا
الطيبة ، فيجيد ماجناً ، كما يجيد ناقماً ، او واصفاً ،
او متاملاً مفكراً . وهاكه يمزج الحقيقة بالتهكم
والياس بالامل :

« عرفت سجايا الدهر ، اما شروره

فنقد ، واما خيره فوعود . »

فلا يرهبن الموت من ظل راكباً

فان انحداراً في التراب صعود . »

لست في هذا المقام ناظراً الى المعري من
جميع نواحيه ، وفي شعره ، كما في شعر كل شاعر
على الاطلاق ، الغث والسمين . انما انا مستشهد
به وبمحاسنه على ان الالم في كبار الشعراء يخرجهم
من المحيط الشخصي المحدود ، من قيد الانانية ،
ويرفع بهم الى اوج المعرفة والاحساس ، فيرون ما
في الحياة من مواطن الوحي الدنية والقصية ، ومن
مصادر الشعر في الاغوار وفي الانجاد ، بل يرون
الكون كله شعراً ألهياً .

قال « غوته » شاعر الالمان الاكبر : « ان

الكون ثوب الله . »

وجاء المعري ، شاعرنا الاكبر ، يبهزه بصورة

ابلق وصفاء ، واروع حقيقة ، واسمى خيالاً ،

اذ قال :

« أرى خيال إزار حَمَّه قدر

ظهرت منه قليلاً ثم ورّيت . »

هو ذا الخيال في الحقيقة الشعرية . وهو ذا ✓

في الاثنين ما يثبت ان هناك شيئاً من الشبه بين

المعري والفارض . فالمتصوف يجل الله عن الذكر

الارمزاً . وهو لا يجسر ان يراه ، اذا فرضنا ان

ذلك ممكن ، ولم ير الا الخيال من ازاره . فالكون ?

في نظر الشاعر الالماني هو هذا الازار ، وفي نظر

الشاعر العربي هو خيال الازار ، وقد عبر عن

مشيئة الله فيه بالقدر . والناس يظهرون من خلال

هذا الخيال — يظهرون قليلاً في هذه الفانية — ثم

يختفون .

لنعد ، قبل ان نودع المعري ، الى موضوعنا

فيسعفنا ببعض صور بيئته لنعيد الى نظر القارىء ما قد

يكون نساءه في بيئتنا . اولى من العجب ان
نسمع من شاعر القرن الحادي عشر الصوت الذي
نود ان نسمعه ، من شعراء هذا الزمان .

قال المعري يوبخ الملوك ، ويدافع حتى في
تلك الايام — عن كانوا يدفعون الضرائب .
« وارى ملوكا لا تحوط رعية

فعلى م تؤخذ جزية ومكوس ؟ »

وقال يندد بالمنافقين والمراثين ، وهم لا
يزالون كما كانوا في قديم الزمان ، وان تعددت
اساليبهم ، وتغيرت اسماءهم وحيلهم .

« رويدك قد غررت وانت حر

بصاحب حيلة يعظ النساء .

يحرم فيكم الصباء صباحاً

ويشربها على عمد مساء

يقول لكم غدوت بلا كساء
وفي حاناتها رهن الكساء . «
و كأنه نظر بعين الغيب الى هذه البلاد
العربية او بالحري الى حاضرها واصحاب الانتدابات
فيها ، فقال :

« ساس الانام شياطين مسلطة —

في كل قطر من الوالين شيطان . «
هوذا الالم القومي ، بل الالم الانساني ،
الذي يتمثل في الشاعر الكبير فيرفعه الى اوج
المعرفة والشعور ، ويسلحه بالجرأة زينة البلاغة .
وبالحرية زينة الحق ، وبالصدق والاخلاص زينة
النزعات النفسية والقومية والانسانية كلها .
وها هنا يحق لنا ان نسأل : هل الشاعر

الدموع

لصديقي الشاعر الشيخ فؤاد الخطيب بيت
في الدموع ، كان يردده يوم كنا بجده ، وهو
يشدو على طريقته البدوية المشجية ، فينسينا ،
ونحن نهتف : الله ، الله ، اننا في بلد تُغتفر فيه
اللهفات ، ولا يُسأل فيه صاحب العبرات . وكأني
الآن ، وتلك الذكرى تعود في لبنان ، اسمعه
ينشد كذلك في عمان :

« هات الدموع ، وحسي في البلاء بها
ان الدموع يد لله بيضاء . »^(١)

(١) لي رأي في الشعر يستحق البحث والمناقشة ، وهو
ان الترجمة تفضح السخيف منه ، مها عذبت او جزات

ولكنني ، وانا في هذا الملجأ القصي ، من
سحر شدوه البدوي ، ارفع قضيتي الى محكمة
العقل ، واسأل مستأنفاً حكم الشاعر : هل الدموع
في البلاء مفيدة ؟ بل اسأل اطلاقاً : هل تنفع
الدموع ؟

قبل ان نجيب على هذا السؤال ، يجب ان
نعرف ما هو الدمع . ويجب ان يكون البحث
علمياً ، لنثبت فوق كل ريب الحقيقة في الموضوع ،
ونظهر فوق كل ريب ما قد ينطوي عليه من وهم
وسخافة .

الفاظه ، وتثبت الجيد ، فيظل شعراً اذا ترجم لاية لغة من
اللغات . هالك بيت الشيخ فواد في حلة انكليزية :

« Myself in tears to sorrow I resign ;
For tears are of the clemency divine . »

جاء في القاموس : الدمع ماء العين من حزن
او سرور . ولكن التعريفات العلمية تجيء ناقصة
في قواميسنا العربية .

لذلك نلجأ الى قواميس الافرنج . فهاك ما
جاء في القاموس الانكليزي : الدمع هو الماء
المالح الذي تفرزه الغدد الخاصة به ، ليرطب سطح
العين ، ويغسلها مما يغشيتها من ذرات الغبار . وهو
يجري من قبائل الراس (القاموس العربي) ثم يمر
في مسابيل الانف (القاموس الانكليزي) ويمتزج
بمفرزاته المخاطية . اما في اوقات التهيج او الابتهاج -
في السعال الشديد مثلا او الضحك - فتتقلص
اعصاب العين ، فيسيل الدمع على الوجنتين .
من هذا التحديد يتضح ان الدمع

١ - ماء مالحة

٢ - غده في قبائل الرأس

٣ — فائدته ان يبقي العين نظيفة ويرطب

سطحها ،

٤ — يظهر في ساعات السرور الشديد او

الحزن الشديد سائلاً فوق الحدود .

الدموع اذن ليست الحزن بعينه ، ولا هي

دليل الحزن فقط . على انها ، حسب اعتقاد الناس ،

تخفف من الحزن ، وتفرج الكرب والغم .

وهذا الاعتقاد ، وان تصعب اثباته علمياً ،

ينزله الكثيرون من اهل الادب والعلم منزلة

اليقين ، فيقولون ان في البكاء راحة من كرب

او حزن او مرض ، وفيه تنكشف الغموم .

فهل هذا صحيح ياترى ، ام هل هو وهم من

الاهوام ؟ اننا نلفت نظر القاريء الى هذه

الحقائق الراهنة :

ان البكاء في بعض الشعوب الشرقية اكثر

منه في الشعوب الغربية. وانه في الشعوب اللاتينية
اكثر منه في الشعوب الانكلوسكسونية. وان في
الشعوب القاطنة الشمال، مثل اهل اسوج ونروج،
يضعف فيهم الميل الى البكاء، ويكاد يزول. فهم
قلما يبكون في الملمات.

فهل في الطقس عامل من عوامل البكاء؟
اذا قلنا: نعم كذبتنا شواهد الحال. فالعرب في
شبه الجزيرة، وخصوصاً اهل نجد، هم مثل
الاسوجيين، وان تعاكس طقس البلادين، فلا
يجزنون حزناً شديداً على موتاهم، وقلما يبكون.
هل للتقاليد والتربية اذن فعلها في البكاء؟
اني اعتقد ذلك. بل اقول انها من عوامل البكاء
الشديدة.

واني؛ فوق ذلك، استرعي نظر القارىء
الى هذه الحقائق الاخرى الثابتة:

الصغار اسهل دمعاً من الكبار ، والنساء
أكثر بكاء من الرجال ، والرجال في الشعوب
الهمجية والمتأخرة في التمدن ، هم اسرع الى ذرف
الدموع والنحيب من الرجال المتمدنين . تنبئنا
بذلك المنادب الافريقية ، وما لا يزال من اثرها في
بعض البلدان ، وقل في جبل لبنان .

ان في ذرف الدموع اذن ، وفي فيضها
وشحاحها ، غير تهيج العواطف حزناً او سروراً .
وقد قدمنا الدليل على علاقتها ، من وجهة واحدة ،
بدرجة الرقي والتمدن في الشعوب .

وهالك ، من وجهة اخرى ، ما يسترعى النظر .
الولد يبكي حينما تصطم ارادته اصطداماً شديداً
بارادة امه او ابيه او اخيه الاكبر . والمرأة تبكي
إذا اشتد عليها كيد الزمان ، او كيد زوجها . اما

الرجل ، فهو على الاجمال اقل بكاء من المرأة . فاذا
كانت الدموع تفيض فلماذا تُخص فائدتها بالاطفال
قبل الاولاد ، وبالأولاد قبل النساء ، وبالنساء قبل
الرجال . ويكاد يُحرم الرجال خيرها . ألان الاولاد
اضعف من النساء ، والنساء اقل قوة وتجلداً من
الرجال ؟ قد يكون ذلك ، وقد تكون مسايل
الدمع في الاطفال والاولاد والنساء اطرى
وأرقّ منها في الرجال .

ومما لا ريب فيه ان الرجال اجمالاً يحكمون
العقل في الشدائد ، والنساء يحكمن العاطفة ،
والاولاد مسيرون بالغريرة . يرى الطفل القمر ،
فيمد يده اليه — يطلبه ثم يطلبه — فتعريه سورة
من البكاء . لانه ابي ان يقيه . وبعد صراخه ودموعه
يهدأ جأشه ، وينسى ان القمر عصاه .

فهل افادت الطفل الدموع ، بعد ان
حرق ملحها وجذتيه وماقيه؟ ام هل كانت الدموع
نتيجة ملازمة لتهيجه واضطرابه؟

في الجواب على السؤال الاول ، سلباً او
ايجاباً ، مجال للبحث . اما الجواب الايجابي على
السؤال الثاني فلا ريب فيه؟

ايحق لنا ان نقول اذن ان الدموع نتيجة
ملازمة لتهيج العواطف ، حزناً او ابتهاجاً ، وهي
قلما تفيد؟

حدثني سيدة مهذبة قالت : كدت اختنق
مرة من شدة الغيظ والكمند ، وانا احاول ان
احبس دموعي . ولكنني عندما استسلمت اليها ،
احسست ان شيئاً ثقيلاً متجمداً في صدري اخذ
يزوب ، فذاب بالبكاء ، فانفرجت .

ولكن الرجال يفرجون كربتهم بغير

الدموع . يفرجونها اما بالصبر والتجلد ، واما
بالقوة ، واما بحسن التدبير .

ان الغيظ والكمد والحزن لا تفعل بالرجال
اذن ما تفعله بالنساء . ذلك لان فعلها بالنساء منشأه
المواطف ، وفعلها بالرجال منشأه العقل والارادة -
العقل في التدبير ، والارادة في ضبط النفس ، او
القوة في اشفاء غليلها .

ولا اظنك تنكر ، ايها القارىء المفكر ،
ان للتربية مفعولها بالدموع . فالام لا تزجر ابنتها ،
اذا رأتها تبكي ، كما تزجر ابنها . فهي توبخه ،
وتذكره بانه رجل - والرجال لا يبكون .
فاذا كان البكاء حقاً مفيداً ، فلماذا يحرم
الولد فائدته ، ولا تحرمها الفتاة؟

يظهر اذن ، فوق كل ريب ، ان في عقيدة

من يقولون بفائدة البكاء شيئاً بل اشياء من الوهم
والسخافة . وان الشاعر في قوله : « ان الدموع
يد لله بيضاء » هو شاعر فقط . على ان قد يكون له
تعالى يد في الدموع بيضاء ، اذا اسعفها
الوهم في تقليد ورثناه ، او في عادة
الفناها .

دموع الشاعر

لا اظنك تجد من الدموع في شعر الامم
الاوروبية كلها مقدار نصف ما عندنا في الشعر
العربي . ولا اظني في ما اقول مبالغاً . جل في ربوع
الشعر او في بواديه ، تجد هناك من الدموع بحيرات
ومستنقعات . خذ اي ديوان تشاء ، وافتحه على بركة
الله ، تحظ بقصيدة شاكية ، او بقافية باكية . وخذ
أي كتاب من كتب الادب القديم ، ترصفحاته
مزدانة بالاشعار ، وفيها دائماً من النوع الذي يسيل
دمعاً سخيناً سخياً . قصائد هي السواقي — قوافي
هي الشلالات — دواوين هي الينابيع المعدنية .
ويظهر ان الذين يتذوقون الشعر ويروونه ،

او يعنون بنقله ، والاستشهاد به ، في بث فكرة ،
وتزيين مقال او اعلان ، هم شغفون بدمعة الشاعر
فيفضلونها غالباً على ابتهامته ، او على غيرها من
ظاهرات مزاجه . هالك ما قرأت في ورقة اليوم
من الروزنامة :

« واذا عصاني الدمع في

احدى ملهات الخطوب

اجريته بتذكري

ما كان من هجر الجيب . »

كأن جري الدمع على الخد لازم للصحة والهناء
لزوم جري السوائل الاخرى في الجسم البشري .
واننا نرى الشاعر ها هنا ، مثل الطبيب ، يعالج
المتعسر العاصي منها بالادوية . فقد اكتشف دواء
لنفسه ، اسماه « هجر الجيب » ، فعله عجيب . خذ
ملعقة واحدة من « تذكر الجيب الهاجر » ، تفتح

مجري الدمع فيك ، فتلين عينك القاسية العاصية ،
فتأتيك بالعبرات في الملمات .
وما أكثر انواع العبرات ، وما أكثر العبر
فيها . فقد عدد احد ارباب الشعر الباكي مئة دمعة
ودمعة ، بادئاً بالطفل ، وخاتماً بالمسيح على الصليب ،
وهو يحمد الدمعة التي « قلبت العالم » ! انما فاته ،
دامت دمعه ، ان المسيح في تلك الساعة لم يفكر
بالعالم ، بل بنفسه اذ قال : الهى ، الهى ، لماذا
تركتني . تباركت في كل حال دمعة المصلوب ،
وهي الوحيدة - الاولى والاخيرة منه . اما شعراؤنا
فهم لا يصلبون ولا يهانون ، ودائماً يكون . وقد
تخلوا حتى السواقي والينابيع دموعاً .
اجل ، ان الطبيعة نفسها لتبكي معهم .
سبحان من بكى ، واستبكى ، وابكى . فهاكم
الورد الباكي ، وطل الصباح دموعه . وهاكم

الشفق الشاكي ، وفي الغمام غمومه . وهاكم الحمام
النواح ، والبوم الصياح ، والضفادع تنق طول
الليل حتى الصباح . والخرفان الحزينة المعدة للذبح ،
وهي احق انصار الشعراء بالبكاء ، فقد تقرحت
مدامعها ، فبكى حتى الذئب عليها ومعها . اننا حقاً
لفي وادي الدموع ، والشاعر مرآته الجليلة ، ودمعته
الكبرى المركزية ، التي تنعكس فيها كل دمة ،
وكل بلية .

لله من دموع الشعراء . قال المتنبي يندب
شيبه في صباه :

« شيب رأسي وذلتي ونحولي
ودموعي على هواك شهودي . »
والمتنبي سيد الكذابين ، لانه لم يشب في
سن العشرين ، وكان في الارض من المتكبرين .
ومن عجيب اختراعاتهم الدمة أن دموع

بعضهم تجري من غير عيونهم — تجري من اعضاء
الجسم الاخرى، ومن كل حواسه . فتبكي اليد
مثلا على الاذن، وتبكي الضلوع على الصدر،
والصدر على الكبد، والكبد على الكليتين .

اسمع ابن المعتز يقول في موشح له :

« غُشيت عيناى من طول البكا

وبكى بعضى على بعضى معى . »

ثم قال في المقطع التالي مكذبا نفسه :

« كلما فكر بالبين بكى

ويجه يبكى لما لم يقع . »

وهذا لعمرى حال الاكثرين من شعراء

الدموع . فهم اما مقلدون، واما سباقون للحوادث

المفجعة، فيبكون قبل ان تقع . ومتى وقعت —

اذا ما وقعت — ماذا يفعلون؟ قد قيل لنا، بالرغم

من ذلك، ان اطهر الدموع، بعد دموع الامهات،

دموع الشعراء... .

الشعراء الصادقين ، نعم . سمعنا وآمنا .
فالشعراء الصادقون ، على قلتهم ، فريقان ، فريق
« يمثل في المحيط الباكي بكاه » ، فيكون ثم
يكون ، فتتقرح كدامع الخرفان مدامعهم ،
وتبكي حتى الذئاب معهم . ان دموعهم كدموع
النساء والاطفال ، ولها في الشعر قيمتها . اما الغلو
في تقديرها فنبوذ ، وكل نقادة شعر محترم الرأي
يرفض النظرية التي ترفع الادب الباكي ، او قطعة
من الشعر الدميع ، الى ذروة عالية من الفن .

اما الفريق الثاني ، من « يحملون من الالم
رمز الالم » فهم لا يكونون ؛ ولا يستبكون . هم
ينبهوننا ، يستيقظوننا ، يشعدون فينا سيف النعمة
يستفزوننا لجميل الافكار ، وشريف المقاصد
والاعمال . هم الذين تتمثل في انفسهم آلام الناس

فتفيض ، فتغمر الآمهم الشخصية كلها. ^(١)
ذكر بعض الادباء شعراء فرنسيين اشتهروا
باحزانهم ، وامتازوا ، كما قيل ، بدموعهم ، وفي
مقدمة من ذكروا الفريد ده موسى (Alfred
de Musset) واستشهدوا به على « عظمة » الدموع لكبار شعراء
الغرام والاحزان عندنا . وقد قالوا ان ده موسى ،
بعد تمردده على البكاء ، راح الى لامرتين (Alphonse
Lamartine) باكياً ، فرحب به بكلمة من كلماته الكبيرة في
حب « عظمة الالام الانسانية . »

^(١) وقد قال المؤلف في كتابه « ملوك العرب »

الجزء الثاني ، صفحة ٣٨٥ -

« من مزايا الشاعر الحقيقي ان البؤس في الامة يجزئه
حتى الالم ، فيصبح كانه هو الامة البائسة الموحدة ، فيسمع
صيحته من قد خشنت او تخدرت من الالام اعصابهم ،
فيستفيقون طالبين الدواء والشفاء . »

ومن مزايا الادب في تلك الايام ، وقل من
امراضه ، الا كثار من لفظة العظمة ، التي استخدمت
لوصف العصر بجدافيره ، من لصبه الى اميره ، ومن
اعلامه الى آلامه . ومع ان هذه المدرسة الرومنطقية
(اللامنطقية ؟) قد اضمحلت ، فلا بد من كلمة
وجيزة في ده موسى ، الذي استشهد به ادباؤنا
وشعراؤنا الغزليون ، ليبرروا استرسالهم في الغرام
والحزن والبكاء .

وخير الكلام في الموضوع ما كان لجهابذة
الفرنسيس انفسهم . اني الفت الى ما يلي نظر
الجاهلين ، واذكر به العارفين ، من ادبائنا .

قال سنت بوف (Charles Sainte-Beuve)

ما معناه : ما صفا شعر موسى وسما الا بعد ان احب
الشاعر ، واخلص في حبه . وانك لتجد مثال هذا
الشعر في « الليالي » ومصدر جماله مزدوج . ان

مصدره الألم ، وشغف النفس الاليمة بالحياة .
فالشاعر شاعر ، رغم الامه وأحزانه ، بان ينابيع
الحياة لم تنضب ولن تنضب ، وان الجمال في الكون
لم ينقص ، ولن ينقص ، لا في روعته ولا في تنوعه .
ولولا هذا الشعور الحي على الدوام في ده موسىه ،
لولا الشجاعة والتفاؤل ، ولولا الامل في تجديد
الشباب ، وترداد آياته الخالدة ، من جيل الى جيل ،
كما تُردّد في المروج ، وفي انوار الفجر والوان الغروب ،
وفي تغريد الاطيار ، وتفتح الازهار ، آيات الجمال
الخالد ، لما كان لآلامه وقع حسن في القلوب ، ولما
قبلت أحزانه واستعذبت مها كان بليغاً ومها كان
متأنقاً في تبيانها ^(١) .

(١) راجع مقالا لسنت يوف في الفرد ده موسىه .

وقد قال النقاد الأكبر تانين^(١) (Hippolyte Taine)
« شاخ ده موسى وظل شاباً . » فقد كانت ملائكة
الاحزان تزوره ليلاً ، حتى في آخر أيامه ، وتهديه
الى المصادر القدسية في الشعر . وقد رأى ده موسى
من ذروات ريبه ويأسه جوامع الحياة وشواردها
منبسطة أمامه انبساط السهول والبحار لمن يراها من
أعالي الجبال .

على أن ده موسى ولامارتين وفكتور هوغو
مدينون بشي من روح الشعر الجديدة لشاعر تقدمهم
هو الفريد ده فيني (de Vigny) وقد كان شعره
فلسفياً رومنطقياً معاً . وان ده فيني ، في
مغالبة الزمان ، والصبر على آلام الحياة ، لشبيه

(١) في كتابه « تاريخ الاداب الانكليزية » .

بالمعري ابي العلاء^(١).

(Heinrich
Heine) ومن من شعراء اوروبه نظير هَيْنَه

في ما قاساه من الآلام ؟ فقد ظل هذا الشاعر اثنتي
عشرة سنة طريح الفراش ، وهو في تلك السنين
المرّة يكتب النثر وفيه روعة نادرة ، وينظم الشعر
وفيه السحر الخالد .

وبالرغم من آلامه وأوصابه كلها ، قلما نجد
في شعره أنة مزعجة ، أو دمعة لا تصحبها نكتة أو
ابتسامة. ذلك لانه كان خفيف الروح ، حلوا المزاج ،

(١) خذ هذين البيتين من قصيدته « مصرع الذئب »

« Gémir, pleurer, prier est également lâche;
Fais énergiquement ta longue et lourde tâche,
Dans la vois où le sort a voulu t'appeler ,
Puis après, comme moi, souffre et meurs
sans parler. »

وذا فكر فوق ذلك طوّاف محيط . فقد تغلغل في
بمّث الحياة ، وأمّعن في اغوارها وانجادها ، فاضحكته
فيها المتناقضات ، وشحذت الأوهام قوة التّهم
منه ، كما جلت روح الحق وروحه الشّائرة الساخرة ،
الممزوجة بالطريف من المزاح .

اعيد ما أسلفت قوله ، وهو ان الألم يرفع
بالشعراء الكبار الى اوج المعرفة ، فيرون الحياة
كاملة بما ظهر منها ، سابغة بما اتضح . ويرون كذلك
الشعلة الالهية التي تنير لبها وحواشيها .

ولكن الألم غير الدموع . ومن السهل على
من لا يفكرون تفكيراً صحيحاً علمياً أن يخلطوا
بين الاثنين . ولا تظن ، أيها القارىء العزيز ، ان
الدموع هي التي طهرت فرنسه من أدران الظلم
والفساد ، كما قال احد الادباء الدميّعين ، بل هي
الثورة التي ولدتها الآلام .

الدموع تسكن القوى ، والالام تثيرها .
والشعراء الكبار ، مثل أبي العلاء وهينيه
وده موسى ، قاسوا من آلام الحياة أشدها وأنواعها ،
لما كان في زمانهم من جهل وظلم ، ووهم وفساد .
ولكنهم لم يبكوا . لا ، لم يذرفوا الدموع . بل
كانوا ثائرين متمردين ، داعين للثورة والتمرد ،
داعين لجهاد الظلم والظالمين .

لقد هيج الالم فيهم الدم ، وما هيج الدموع .
لقد اثار الالم العواطف منهم ، وما اثار
البكاء .

لقد انار الالم عقولهم بانوار العطف والحنان ،
وأشعلها بنيران النعمة والجهاد ، فرفعوها عالياً في
شعرهم ، هدياً وتحريضاً للناس .

نذب وانثداب

حدثنا الاستاذ صلاح اللبابيدي عن الاستاذ
عبدالله اليافي قال: ان احد الالمان الذين اخرجهم حزب
النازي (تلفظ نآشي) من الخدمة ، دخل على الوزير
متظلماً لابعاده من الحكومة بداعي ان جده
الخامس يهودي ، فقال انه رجل الماني ، خدم المانيه
سنيماً طوالاً ، وانه مظلوم في ما ظن به ، وفي عزله
لذلك ، وليس له مورد غير راتبه يعيش به هو
وعائلته ، وانه لا يستطيع عملاً آخر .

قال ذلك وبكى . فانتفض الوزير انتفاض
الناشط من عقال وقال : لقد برهنت ان الدم
اليهودي لا يزال يجري في عروقك ، لان الالمانى

الحق لا يبكي في الشدائد ، وطرده من مجلسه .
وقد سمعنا من يحدث ان رجلا من الانكليز
سمع مرة بعض المصريين يغنون ، وكانهم
ينحبون :

حبيبي راح والكأس بيده ،

يامن يرد لي حبيبي .
فسأل ما معنى ما يغنون ، فقبل له ، فرفع
يده كمن يريد الملاكمة وقال : « من يأخذ حبيبي
اجري وراه واكسر رأسه . اما انتم المصريون ،
فتقعدون وتنوحون . »

وقال ظريف سمع القصة كان الفرنسيين
يغنون في ايام الحرب ، مثل المصريين ، اغنية
اسمها « روزالي » ، فيقولون :

راحت « روزالي » ومن رآها يردهالي
والكن الفرنسي في محنته هذه هو غير الانكليزي

وغير المصري . وقد يكون هجر « روزالي » اخف
المحن عنده . فهو يلوح بيده ، وبروحه الظريفة ،
الى الجيران كأنه يقول : من رأى بقرتي اوشاتي
الشاردة ليردها من فضله .

واني لا اشك في ان عقليته في ما يجد له ،
ويعده من خطير الامور ، هي في المحن كعقلية
الالمانى والانكليزي . فهو لا يبكي . واذا اعتدى
عليه ، او حرم عزيز لديه ، يشمر عن ذراعه ويقاقل
ليظفر بأمله المنشود .

اجل ؛ ان الفرنسي والانكليزي والالمانى
سواء من هذا القبيل . اما نحن فنئن ونتأوه ، ونندب
وننوح ، ثم ننام على ظهورنا مستسلمين مسترحمين .
حبيبي راح ، يامن يرد لي حبيبي .

حريتي راحت ، يامن يردها لي .
استقلال بلادي راح ، يامن يرد لبلادي

استقلاله .

نحنا ، ونمنا ، وتوكلنا على الله . وجاء
شعراؤنا يرثون لحالنا — يرثوننا . وجاء المغنون
يعزون ، كل بنعمة جديدة — قديمة — من انعام
الاسى والحنين ، والضنى والانين .

غيرنا تملك وصال

ونحنا نصبنا خيال

كدا العدل يا منصفين !

لا ، والله ، لا والله . نقول هذا وننام ، ننام ،
ونحلم بنوح الحمام . واذا استفقنا متألمين نتذكر ،
مثل ابن المعتز ، هجر الحبيب ، فنفرج كربتنا
بالندب والنحيب .

غيرنا تملك وصال

ونحنا نصبنا خيال .

والحرية ، والاستقلال ، والقومية المنشودة .

حبيبي راح ، من يرد لي حبيبي .
واحرى تاه ا واقوميتاه ا
فهل تعيش امة في هذا الزمان وهذه نفسيتها؟
وهل تنال امة استقلالها المعصوب وهذا معقولها ؟
هوذا بيت القصيد في خطبتي بعاليه . واني
اعود اليه في ختام هذه الصفحات ، لان الادباء ، في
الحوار والجدال ، يعدوا منه ، وكادوا ينسونه .
اننا ؛ ايها الناس ، لفي المحنة الكبرى التي
فيها موتنا كأمة ، وفيها حياتنا . فكيف نعمل
لنخلص من الموت ، وكيف نعمل لنظفر بالحياة؟
انفني : حبيبي راح ، ونذرف الدمع ونرتاح -
نموت ؟
ألا يثير الالم فينا غير الدموع ؟ ألا يثير فينا
الدم ، والغضب ، والنقمة ، والتمرد ؟ ألا يستفزنا
للعمل ، للجهاد ، او في الاقل للمصيان المدني ؟

قلت ، واعيد ما قلت ، اننا سائرون الى
الاستعباد — الاستعباد الاقتصادي . ان الربة لهي
اليوم امام عيوننا ، وهي غداً في رقاب ابنائنا .
وان النحاسون يصفقون لاغانينا المحزنة المبكية ؛
ويتمنون لنا الزيادة منها . كيف لا والدموع بنات
الذل والخنوع .
ونحن نتحاور ونتجادل في الادب الباكي
والادب الثائر — ادب الضعف وادب القوة —
وايهما انفع لنا . والله لو كان حالنا حال غيرنا من
الامم المستضعفة لما اختلف في المسئلة اثنان .
وهل في مثل حالنا يجوز البحث في ما اذا
كان الشعر المبكي والاغاني المحزنة اعظم فنياً من
تلك التي تحرك في النفس الخفة والطرب ؟
وهلا يكفي ان اقول لكم ان النحاس يجب
في عبوده الشعور الرقيق ، والاحساس اللطيف ؟ أفلا

تنتبهون ، افلا تفقهون ؟ واعلموا ؛ وقاكم الله خير
النخاسين ، ان التاريخ لا ينبىء بامة واحدة كانت
في ايام جهادها وتكونها على شيء كبير من الانتاج
الفنى . وكل ما كان فيها من فن ؛ وشعر ؛ وعلم ؛
وادب كان يسخر للغرض الاكبر من جهادها ،
يسخر لحريتها ، ولاستقلالها ، ولتعزير القومية
والوطنية فيها .
نحن اليوم هذه الامة . وقد بدأ يشعر
الكثيرون منا بان ادب القوة هو الزم لنا ، وان
ادب الضعف لا يفيد غير المسيطرين علينا .
ان امر هؤلاء المسيطرين عجيب . قديظن البعض
من المتفائلين انهم في النهاية راحلون ، وهم يعللوننا
بيوم المعاهدات ؛ يتلوه يوم الجلاء .
اني اظن بانهم في ما يعللون غير صادقين .
فهم في قلوبهم راغبون باحتلال يدوم ، وعاملون له

في سرهم — وفي جهرهم عندما الجهر يفيد . قلت :
اني اظن — احس بسوء القصد — ويجب ان
اضيف الى ذلك ما فيه الدليل ، مما شاهدت ، على
اني في ظني وفي حسي متحفظ معتدل .

اجل ، قد شاهدت في رحلتي السورية
الاخيرة ما يرفع بظني وحسي الى منزلة اليقين . فما
هذه الصروح الفخمة التي يبنها الفرنسيين في المدن
السورية الكبرى ؟ هذه الصروح لمعاهدتهم
الاقتصادية والمالية ، ولمعاهدتهم التهذيبية ، انها
تكذب سياسة المعاهدات والجلاء .

رأيت في الشام وحمص وحلب بنايات
للبنك السوري اللبناني كبيرة جميلة فخمة ، تعيد
الى الذهن كلمة من الكلمات النبوية : اعمل لدنياك
كانك تعيش ابدأ — اعمل لانتدابك كأنه دائم !
اعمل لاحتلاك كأنه ابدى !!

فهل انت في ريب من ذلك؟ لولا يقين القوم
انهم ثابتو القدم في البلاد، او ان الانتداب، في
الاقل، ثابت وطيد، ولا يتغير — اذا ما تغير — الا
اسما، لما كانوا يبنون هذه الصروح في المدن السورية
الكبرى لمعاهدهم المالية والاقتصادية، ولما كانت
المدرسة العلمانية الفرنسية تشيد هذه الابنية الكبيرة
الجميلة في حلب وفي الشام.

فهل انتبهنا، وهلا فقهننا؟

ان الانتداب يطوق البلاد باقتصادياته وثقافته،
ويجيش من ابناء هذه الثقافة جيشاً ينفذ الكبير
والصغير من اوامره، واذ اشتمت من الايضاح المزيد،
وفيه الحقائق مشبوتة بالوثائق، فدونكم وكتاب
الدكتور عبد الرحمن الكيالي الذي نشر اخيراً^(١)

(١) رد الكتلة الوطنية على بيان المفوض السامي
للجمهورية الفرنسية في سورية ولبنان. طبع في المطبعة العلمية بحلب.

هو ذا الانتداب، ووربقتة اليوم أمام عيوننا،
وغداً تصير في رقاب ابنائنا . هو ذا الانتداب ،
ونيره الثقيل علينا كلنا اجمعين — على تدمر
ودمشق ، وعلى الارز وضمنين . فهل نظل ابداً
منقسمين ، متنازعين ، متخاذلين ؟ وهل نداوي
ادواءنا القومية بالبكاء والالين ؟ وهلا يجب علينا
ان نسهل لابنائنا في الاقل سُبُل الجهاد ، لانقاذ
البلاد ، وتحريرها من الاستعباد ؟

ولسنا وحدنا في هذه المحنة الكبرى ، لسنا
وحدنا سائرين الى الاستعباد . فالمصري والفلسطيني
والعراقي يشكون ما نشكوه ، ويئنون مما نئن .
وان عندهم كما عندنا من يسمون روح الضعف
شعوراً لطيفاً وإحساساً دقيقاً ، وينكرون هذا
الاحساس ، وذاك الشعور ، على من يناضلون ،
ويكافحون ، ويجاهدون ، ليخلصوا البلاد من

الادب الباكي ، وهو للمسيطرين كاحدى كتائب
جنودهم الاستعمارية .
وهب ان المجاهدين قساة القلوب ، كما يزعمون ،
غلاظ الرقاب ، وانهم لا يقدرّون الشعور الرقيق في
الشعر وفي الغناء ، فان اليوم يومهم ، ويا مرحباً بهم .
وما اصدق ما قاله أحدهم ولا القساة القلوب :
دانوتزو الشاعر الايطالي مهد السبيل للحركة
الفاشستية . وكتاب الاسبان وشعراؤهم مهدوا
السبيل للجمهورية الاسبنيولية . فلا يجب ان
تكون الزعامة في الامة للسياسيين وحدهم اذن ،
ولا للصحافيين والسياسيين فقط . بل يجب ان
يشارك معهم ، ويتقدمهم ، الادباء والشعراء الحقيقيون
الذين يفرحون بما يضمحل من شخصياتهم في سبيل
الشخصية الوطنية القومية الكبرى .
اما الشعراء والادباء الذين يعيشون لانانيتهم

يدلونها؟ ويكتبون وينظمون لتمجيدها؟ ضمناً
او صراحة، ويتخيّلون انفسهم من «الاولمب» ابناء
الالهة، او المندوبين عنهم فينا، ويظنون ان الامة
لا تنهض اذا لم تحلم احلامهم، وتردد قوافيهم فتحزن
لحزّهم، وتبكي لبكائهم، وتضفر بعد ذلك
الكليل المآتم لها ولهم، فلهؤلاء الشعراء والادباء
نقول: اننا في هذا الزمن العصيب لفي غنى عن
شعركم وأدبكم. ولو كان الامر لنا لسخرناكم
والله للعمل المفيد في أمة تنشد الاعمال المفيدة.

اخواني انتم، فاسمعوا، لوجه الاخاء، هذه
الكلمة. انكم لذو تبعة لانكم اذكياء، وذكاء
المرء محسوب عليه. فلو تشييعتم لحق وطني قومي،
وناضلتهم عنه بكل ما أوتيتهم من قوة، ومن علم
وبيان، لتجددت فيكم الامال، ولعادت اليكم

لذة الحياة الكبرى - لذة العمل الصالح المفيد
للوطن .

لقد انكرتم علينا القول ان زينة الحياة
القوة ، فقلتم ، وقد فاتكم ما شمل من كلامنا ،
ان في الحياة غير القوة مما يستوجب الرعاية والاحلال .
اي ان فيها للعبقريين من رقة الشعور ، وعذوبة
الارواح ، ما يتألف منه روعة الفن ، وطهارة
الدموع . واما تلك الرقة والعذوبة ، وعند قدمي
الروعة والطهارة ، يجب ان نخر ساجدين .

واني أقول لكم ان من ينشدون فناً لا وطن
له يمسون ولا فن لهم ولا وطن .

«وان عظموا كيوان عظمت واحداً
يكون له كيوان اول ساجدٍ .»

القوة ، ثم القوة ، ثم القوة ^(١)
القوة العقلية العلمية ، والقوة الروحية
اللاطائفية ، والقوة المادية الاقتصادية .
يوم نظفر بهذه القوى كلها ، نصير امة حرة
مستقلة ، عزيزة النفس ، عزيزة الجانب ، بدون
الاجانب .
فسقياً ليوم لا ندب فيه ،
ورعياً ليوم ليس فيه انتداب .

(١) يؤله مذ صار ابن آدم قوة
وما الكون الا قوة ونظام
حمى الغاب بأس الليث من كل طارق
ولم ينج من فتك البزاة حمام
الشيخ كاظم الدجيلي

فمن عشرة وصية اخرى للشعراء

١ - حرروا صناعتكم من « قفا نيك » و
« سائق الاطعان » - ان عندكم اليوم الطيارات
لتسوقوا النجوم .

٢ - حرروا انفسكم من القيود التي تحول
دون الابداع والتجدد ، ودون الصدق في الشعور ،
والحرية في التفكير .

٣ - خذوا بيانكم - مجازكم واستعاراتكم -
من لوح الوجود ، ومن الحياة ، لا من الكتب
والدواوين .

٤ - ليكن في خيالكم حقائق كونية
وبشرية ، وليشع من هذه الحقائق الخيال .

٥ — انظروا الى الكون من خلال انفسكم
الشاعرة الباصرة ، ولا تنظروا الى انفسكم من
خلال الاوهام . الشاعر صوت ونور ، وما فيه
سوى ذلك هو باطل زائل .

٦ — لا تسرفوا في البيان ، ولا تطنبوا في
بث لو اعج النفس . فان من افصح الكلام الوقف ،
ومن ابلغ المعاني الاشارة بل السكوت .

٧ — حافظوا على التناسب والتوازن بين
الصيغة والمعنى ، وبين القلب والروح . اذا كنتم
طائرين مثلاً ليكن القول خفيفاً مجنحاً ، واذا كنتم
متألمين او ناقلين لتكن الامواج اللغوية من ذوب
الحديد .

٨ — تجنبوا السخافة في الفكر والوصف ،
وفي الصور الشعرية والخيال . لا تسخروا القمر
والشمس مثلاً لما سخرهما قبلكم الف شاعر وشاعر

٩ - لا تدخلوا المواضع من الابواب التي
دخلها قبلكم جميع الشعراء المقلدين ، فتتعثرون
بعظامهم ، ولا تنجون من قبورهم .
١٠ - ليكن لقصائدكم بداية ونهاية ، فلا
تقرأ طرفدا وعكساً على السواء .

١١ - لا تعصروا قلوبكم كأن تعملون
رقة الشعور ، ولا تعقدوا أفكاركم كأن تعتمدون
الغموض والابهام .

١٢ - تحروا البساطة والصدق والاختصاص ،
فكراً وصناعة وخيالاً .

١٣ - لا تنسوا وطنكم في حبكم الانساني ،
ولا تنسوا الانسانية في نزعاتكم الوطنية .

١٤ - ارفعوا للناس مشاعل الابداء
والشرف ، والقوة والعدل ، والشجاعة والشباب ،
والامل والايمان .

١٥ - وقبل كل شيء ، وبعد كل شيء ،
كفكفوا دموعكم - كفكفوا دموعكم .
فالشمس لا تزال لكم ، والقمر لا يزال رفيقكم ،
والربيع لا يخونكم .

التهى

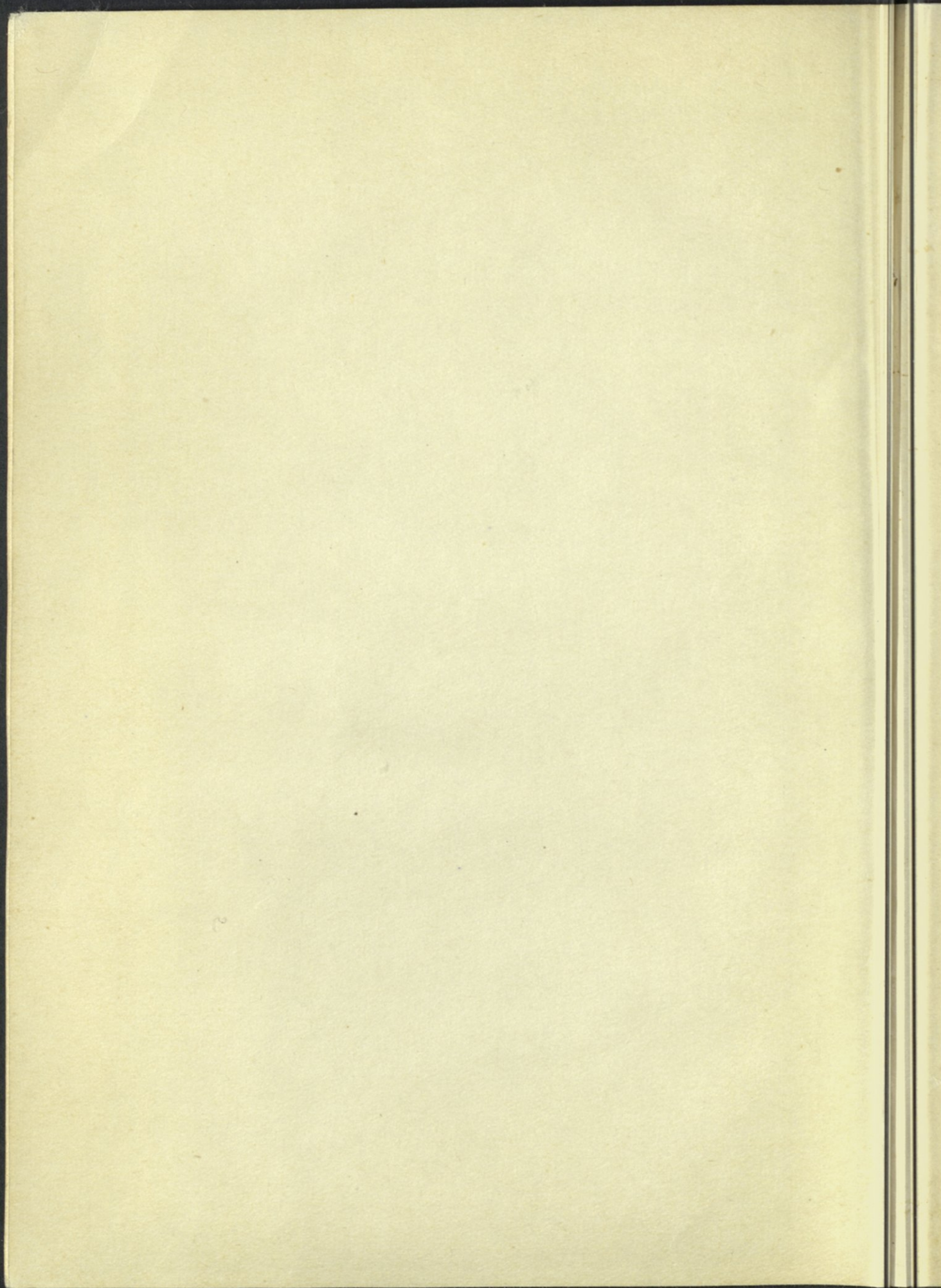
الفريكة - لبنان

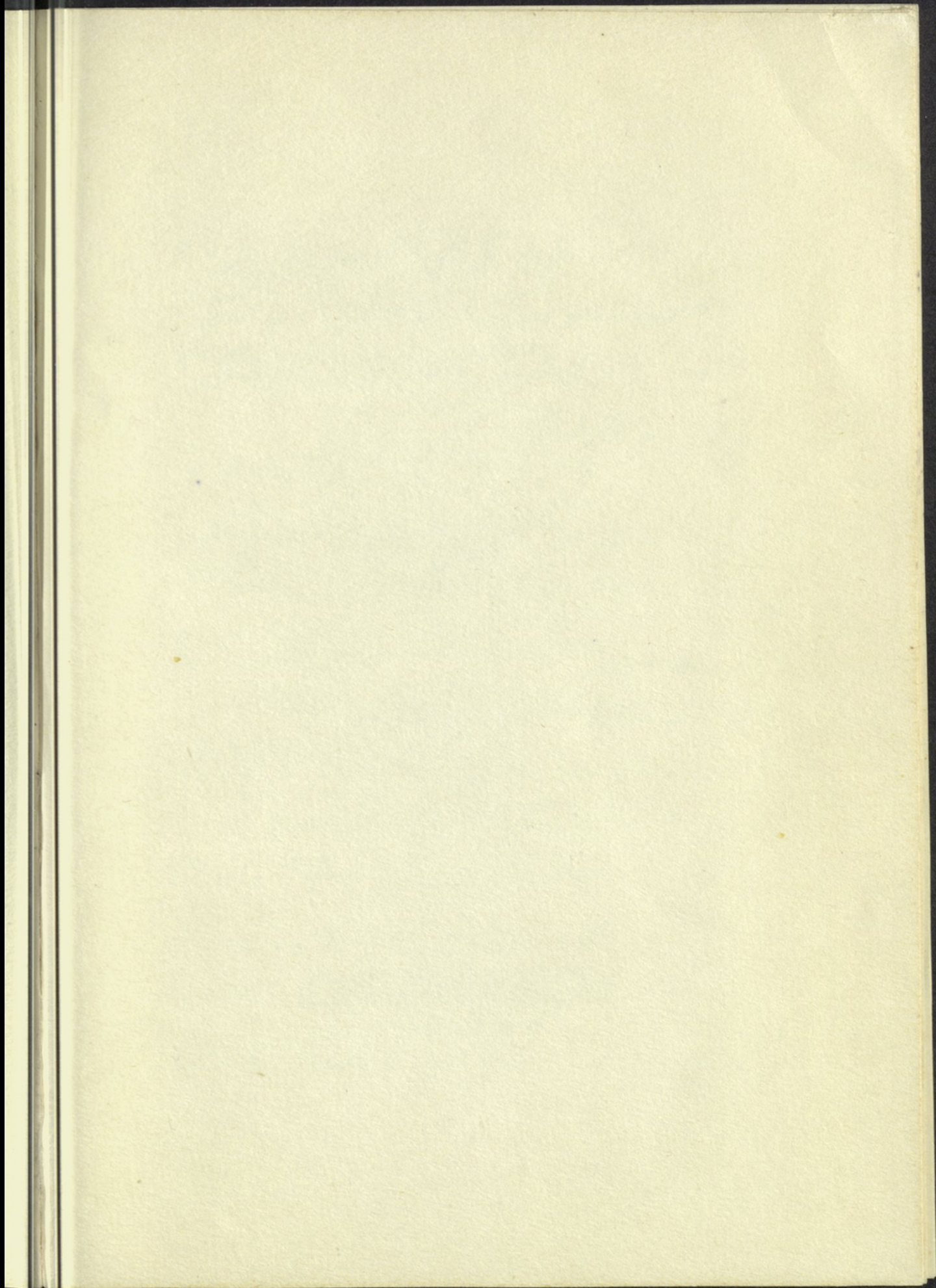
في ١٢ آب سنة ١٩٢٣ و ٢٠ ربيع الثاني سنة ١٣٥٣

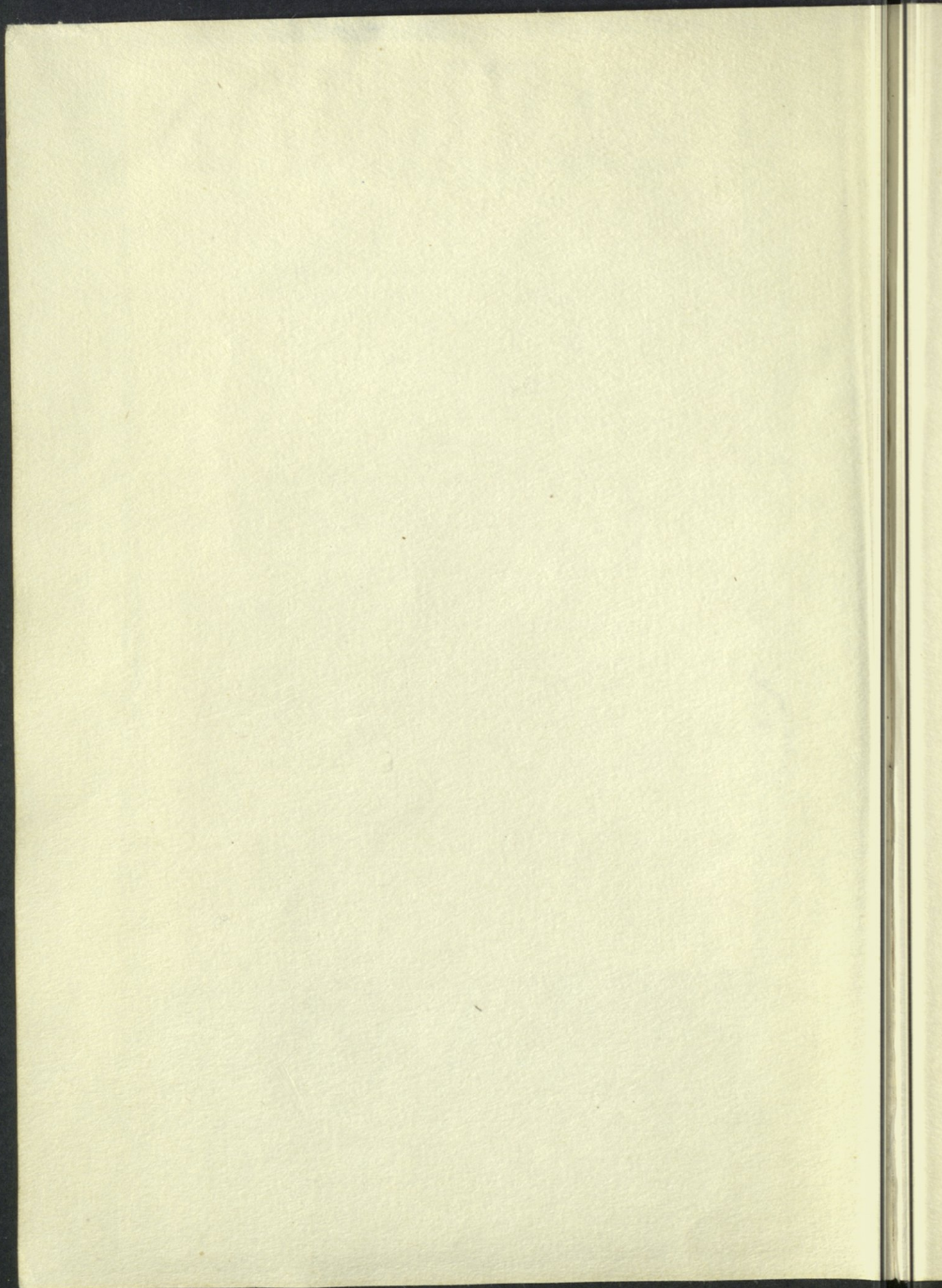
يطلب من

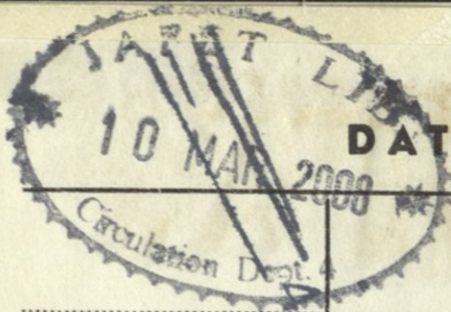
مكتبة الكشاف ومطبعتهما

شارع القريش : بيروت









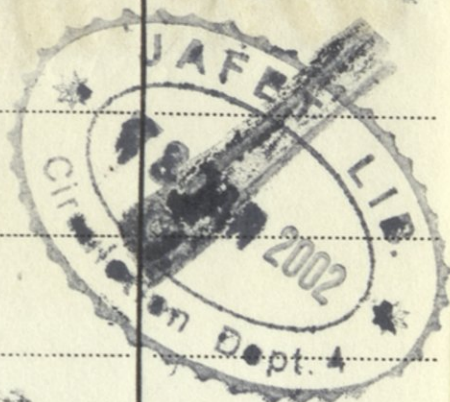
DATE DUE

JAFET LIB.

~~7 MAY 1978~~

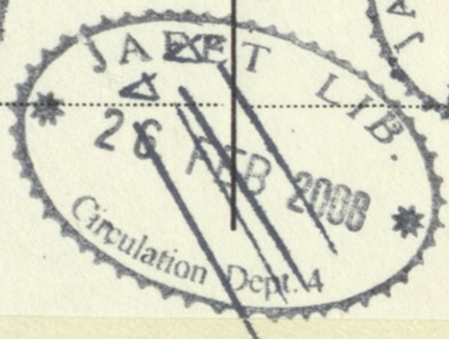
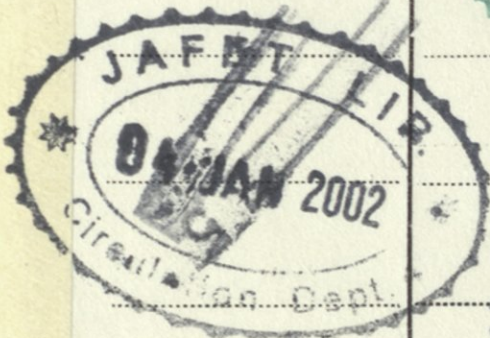
J. LIB.

~~22 JAN 1980~~



J. Lib. 1

~~1 JUN 1981~~



AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



00289918

892.78
R572anA

892.78
R572a.nA